عصفور بلا جناح

كان صوتها ملائكي وكأنه يأتى من السماء

لأول مرة أتأكد أن التليفون كائن حى تتلوى سماعتة فرحة بصوتها .

نبتة "البوتس" ونبتة "البيفمباخيا" تسترقان السمع وتتهامسان وثمة عصافير قلقة تتقافز على فروع يسمينتها فى الشرفة

.قالت فى فرح طفولى:

- أحبك

حاولت أن أكون عاديا.أقلب رأسى عن معنى لما أحسه فى تلك اللحظة .شييء أقوى مما يسمونة حبا .إحساس يصيبنى بالإندهاش.

أمسكت أصابعها تحسستهم واحتضن كفى كفها وابتسامة طازجة تتقافز على شفتيها.

قالت:

- "وكأنى فى حلم ..أخيرا سنحجز شقتنا "

ضغطت على يدى وعضت شفتها السفلى برفق:

"إيه رأيك ناخد تاكسى كى لانتاخر"

قالت ذلك وفى عينيها صخب.

نظرت فيهما غرقت وتهت وكأنى أسبح فى السماء وتأكدت أن البحر أمام عينيها ضيق ضيق جدا.

قالت فى فرح طفولى :

"بعد سنين الغربة سيجتمع الشمل "

أحسست طيورا ترفرف فى قلبى وكفها يضاجع كفى وأصابعها ترسم دوائرا على أصابعى ..

لما وصلنا إلى العمارة التى سنحجز بها شقتنا كان الزحام شديدا والناس فى بحر الشارع كهيئة طائرة ورقية جسدها أمام البناية وذيلها فى آخر الشارع ،

الهواء شحيح والشمس تجلد الناس بسياط حرارتها

بينما كنت أفكر فى كيفية الوصول إلى الرجل الضخم الجالس يتلقى طلبات الناس

كانت حبيبتى ترفرف بجناحى عصفورة .الفرحة أنبتت لنا أجنحة.رفرفنا معا وحلمنا بالعش الذى يجمعنا.

تدافعنا وثمة عصافير كثيرة تنقر فى باب البناية وفى أرض الشارع.

لما وصلت إلى ذلك الضخم القابع خلف مكتب فخم جدا قال فى استعلاء:

- "خلاص.كدة خلصنا "

رأيت فوق مكتبه كومة من العصافير الذبيحة والدم ينزف منها طازجا يغرق المكتب ويسيل إلى الأدراج

أحاول الهرب .أفلفص من الزحام وحبيبتى تصرخ تدفعنى

الرجل الضخم يغلق الباب فى وجوهنا .

اصطدم بالباب المغلق .اسقط .أنزف بغزارة.

أفيق وحقيبتى الصغيرة فى حضنى وحبيبتى تجر جناحيها تلملم ريشها المبعثر فى الهواء

.....

القاهرة يناير2000